﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ﴾

سلسلة أعظم القصص

قصة غزوة أحد

وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ

@tashweeqatquran
tashweeqatq@gmail.com
قرآنية تشويقات
مركز دلائل
Dala'il Centre

صوّر القرآن هذه الحادثة المؤلمة التي كان لها عظيم الأثر ليس على من عاشها فحسب، بل في قلب كل من قرأ آياتها العظيمة، قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ثُمَّ صَرَفَكُمۡ عَنۡهُمۡ لِيَبۡتَلِيَكُمۡۖ وَلَقَدۡ عَفَا عَنكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٥٢ ۞إِذۡ تُصۡعِدُونَ وَلَا تَلۡوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٖ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ فِيٓ أُخۡرَىٰكُمۡ﴾ [آل عمران:١٥٢-١٥٣]

وفي بيان تفاصيل الحادثة يرويها البراء بن عازب رضي الله عنهما فيما أخرج البخاري (٣٠٣٩) قال: «جَعَلَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الرَّجَّالَةِ يَوْمَ أُحُدٍ، وَكَانُوا خَمْسِينَ رَجُلًا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جُبَيْرٍ، فَقَالَ: إِنْ رَأَيْتُمُونَا تَخْطَفُنَا الطَّيْرُ فَلاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ، هَذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا هَزَمْنَا القَوْمَ وَأَوْطَأْنَاهُمْ فَلاَ تَبْرَحُوا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، فَهَزَمُوهُمْ، قَالَ: فَأَنَا وَاللَّهِ رَأَيْتُ النِّسَاءَ يَشْتَدِدْنَ، قَدْ بَدَتْ خَلاَخِلُهُنَّ وَأَسْوُقُهُنَّ، رَافِعَاتٍ ثِيَابَهُنَّ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُبَيْرٍ: الغَنِيمَةَ أَيْ قَوْمِ الغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ، فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، فَذَاكَ إِذْ يَدْعُوهُمُ الرَّسُولُ فِي أُخْرَاهُمْ فَلَمْ يَبْقَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ غَيْرُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَصَابُوا مِنَّا سَبْعِينَ...».

قال الطبري: "يعني حتى إذا ضعفتم واختلفتم في أمر الله، وعصيتم وخالفتم نبيكم فتركتم أمره وما عهد إليكم، ويعني بذلك الرماة الذين كان أمرهم ﷺ بلزوم مركزهم ومقعدهم".

مركز دلائل
Dala'il Centre
DALAIL
قرآنية تشويقات

فتحصل للمسلمين في غزوة أحد عدة دروس:

الأول/ أثابهم الله بغم صغير يزيح عنهم ثقل الغم الكبير، قال الله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾

والذي عليه جمهور المفسرين:

أن الغم الأول: حرمان الله إياهم الغنيمة، وما أصابهم من القتل والجراح بعد الذي رأوه مما يحبون من نصر وظفر, وهزيمة للمشركين، قال مقاتل بن سليمان: "وذلك أنهم كانوا يذكرون فيما بينهم ما فاتهم من الفتح والغنيمة، وما أصابهم من المشركين".

والغم الثاني: غمَّ ظنَّهم أن النبي ﷺ قد قُتل, قال قتادة: "فأنساهم الغم الأخير ما أصابهم من الجراح والقتل, وما كانوا يرجون من الغنيمة".

قال ابن عاشور: "أي ألهاكم بذلك الغم؛ لئلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة، وما أصابكم من القتل والجراح، فأنساهم بمصيبة صغيرة مصيبة كبيرة, وسكت ﷺ عن تثريبكم، ولم يظهر لكم إلا الاغتمام لكيلا يذكركم حزنا على ما فاتكم، فأعرض عن ذكره جبراً لخواطركم". وقيل: المعنى أصابكم بالغم الذي نشأ عن الهزيمة لتعتادوا نزول المصائب، فيذهب عنكم الهلع والجزع عند النوائب.

مركز دلائل
Dala'il Centre
DALAIL
قرآنية
تشوقات

الثاني/ نزول النعاس عليهم أمنة وتخفيفاً لمصابهم، قال الله تعالى:

﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ﴾

والمعنى ثم أغشاكم بالنعاس بعد الهزيمة، "وسمي الإغشاء إنزالا؛ لأنه لمّا كان نُعاساً مُقدّرا من الله لحكمة خاصة، كان كالنازل من العوالم المشرفة, كما يقال: نزلت السكينة". والأَمَنة، والنعاس: النوم الخفيف، أو أول النوم، قال ابن عاشور: "وهو يزيل التعب ولا يُغيب صاحبه، فلذلك كان أمنة فاستجدوا بذلك نشاطهم ونسوا حزنهم؛ لأن الحزن تبتدئ خفته بعد أول نومة تعفيه، كما هو مشاهد في أحزان الموت وغيرها".

قال ابن عباس: "أمنهم يومئذ بنعاس يغشاهم وإنما ينعس من يأمن، والخائف لا ينام"، وفي الحديث الصحيح لأبي طلحة قال: "كنت فيمن صُبَّ عليه النعاس يوم أحد, فكان السيف يسقط من يدي مراراً ثم آخذه من النعاس" ومن طريق المسور بن مخرمة، عن عبدالرحمن بن عوف قال: "ألقي علينا النوم يوم أحد". وأورد البغوي عن الزبير بن العوام قال: "أرسل الله علينا النوم، والله إني لأسمع قول معتب بن قشير: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ والنعاس يغشاني ما أسمعه إلا كالحلم".

مركز دلائل
Dala'il Centre
قرآنية تشوقات

وعند ذكر الأمنة التي نزلت على قلوب المؤمنين أشار القرآن إلى حالة المنافقين بذكر مقولتهم التي كانوا يرددون: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾ "وممن قالها عبدالله بن أبي ابن سلول لما أخبروه بمن استشهد من الخزرج يومئذ، والمعنى: أي لو كان لنا أي رأي من شأن الخروج إلى القتال لمنعنا الخروج إلى أحد الذي كان سبباً في قَتل من قُتل من قومنا، وهذا تنصل من أسباب الحرب، وتعريض بالنبي ﷺ ومن أشار بالخروج من المؤمنين الذين رغبوا في إحدى الحسنيين". وما هذا إلا لهزيمة نفسية لحقت بهم إثر شكهم بصدق موعود الله لرسوله ﷺ؛ قال الطبري : "فهم من حذر القتل على أنفسهم قد طار عن أعينهم الكرى، يظنون بالله الظنون الكاذبة ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله؛ شكًا في أمر الله، وتكذيبًا لنبيه ﷺ، ومحْسَبة منهم أن الله خاذل نبيه ومُعْلٍ عليه أهل الكفر به، قد أهمتهم أنفسهم تخوُّف القتل، وذلك أنهم لا يرجون عاقبة".

الثالث/ النهي عن الوهن والحزن، قال البراء بن عازب رضي الله عنهما: «...ثُمَّ أَخَذَ أبا سفيان يَرْتَجِزُ: أُعْلُ هُبَلْ، أُعْلُ هُبَلْ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: " قُولُوا: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ "، قَالَ: إِنَّ لَنَا العُزَّى وَلاَ عُزَّى لَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: أَلاَ تُجِيبُوا لَهُ؟، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا نَقُولُ؟ قَالَ: قُولُوا اللَّهُ مَوْلاَنَا، وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ" فأنزل الله عز وجل:

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ [آل عمران:١٣٩]

مركز دلائل
Dala'il Centre
قرآنية تشوقات

الوهن: هو الضعف، **قال ابن عاشور:** "وأصله ضعف الذات كالجسم في قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤]، وهنا مجاز من خور العزيمة وضعف الإرادة وانقلاب الرجاء يأساً، والشجاعة جبناً، واليقين شكا".

وكان قد استشهد منهم فوق السبعين، وأصيبوا بجراحات جسيمة, كما في البخاري من حديث قيس بن أبي حازم قال: "رَأَيْتُ يَدَ طَلْحَةَ شَلَّاءَ وَقَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ".

وأما الحزن: فهو شدة الأسف البالغة حد الكآبة والانكسار، فالحزن المستقر في القلب يسري ألماً موجعاً في النفس, ووهناً مقيداً في البدن، فنُهي عن الاستغراق فيهما؛ فالواحد منهما بمفرده مُعيق للتقدم، معطل للحياة كيف لو اجتمعا معًا، قال ابن عاشور: "فالوهن والحزن حالتان للنفس تنشآن عن اعتقاد الخيبة والرزء فيترتب عليهما الاستسلام وترك المقاومة".

فسلاّهم الله عز وجل وذكّرهم، قال سبحانه:

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران: ١٤٠]

مركز دلائل
Dala'il Centre
قرآنية تشوقات

قال جمال الدين القاسمي: "أي إن أصابكم يوم أحد جراح فقد مسّ القوم قرح مثله أي يوم بدر ولم يضعفوا ولم يجبنوا فأنتم أولى، لأنكم موعودون بالنصر دونهم، أي فقد استويتم في الألم، وتباينتم في الرجاء والثواب، كما قال:
﴿ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ ﴾
فما بالكم تهنون وتضعفون عند القرح والألم، فقد أصابهم ذلك في سبيل الشيطان، وأنتم أصبتم في سبيل الله وابتغاء مرضاته, فهي عرض حاضر، يقسمها بين أوليائه وأعدائه بخلاف الآخرة، فإن عرضها ونصرها ورجاءها خالص للذين آمنوا".

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-:

"يقول تعالى مُشجعاً لعباده المؤمنين، ومقوياً لعزائمهم ومنهضاً لهممهم:
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾ فهذا عون لعدوكم عليكم، وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاءَ نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك".

مركز دلائل
Dala'il Centre
قرآنية تشوقات

﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾

خاطبهم الله عز وجل بالحال التي يرتضيها لعباده المؤمنين ولا يرتضي لهم غيرها، فقال سبحانه: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ يعني: الغالبون فآخرُ الأمر لكم، والواو في ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ واو عطف, **قال الشوكاني:** "والجملة حالية، أي: والحال أنكم الأعلون عليهم وعلى غيرهم»، وهذه بشارة لهم بالنصر في المستقبل، فالمراد بالعلو هنا علو المنزلة، إشارة إلى نحو قوله: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ فيكون هذا وعداً لهم.

قال السمرقندي: "هذا وعد لأصحاب محمد ﷺ في المستأنف ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أي الغالبون على الأعداء، فلم يخرجوا بعد ذلك في عسكر إلا ظفروا في عهد رسول الله ﷺ، وفي كل عسكر كان بعد رسول الله ﷺ، إذا كان فيه واحد من الصحابة كان الظفر لهم، فهذه البلدان كلها إنما فتحت في عهد أصحاب رسول الله ﷺ".

بحر العلوم (١/ ٢٤٩)

مركز دلائل
Dala'il Centre
قرآنية تشوقات